واقع الصحراء و طرائق الاستجابة له في الشعر العربي قبل الإسلام

ID No. 699

(PP 69 - 78)

https://doi.org/10.21271/zjhs.27.4.5

نعمت جرجيس ادريس
قسم اللغة العربية - كلية التربية
جامعة صلاح الدين – أربيل
neamat.idrees@su.edu.krd

جليل حسن محمد
قسم اللغة العربية - كلية التربية
جامعة صلاح الدين – أربيل
jalil.muhamad@su.edu.krd

الاستلام : 2022/10/20
القــبول : 2022/11/28
النـــــشر : 2023/09/27

الملخص :

تناولت هذه الدراسة واقع الصحراء و أثره في الانسان الجاهلي ـ و لا سيماء الشعراء ـ فهم أكثر إحساساً ،و أعمق تفكيراً ،و أحدق نظراً لما يجري في واقعهم ؛ فكانت لهم استجابات و ردود أفعال مختلفة تجاه ذلك الواقع الصحراوي المرير الصعب المحتوم الذي لا نفير منه ، و جاء ذلك الاختلاف بحسب الظروف و الطباع ؛ فمنهم مَنْ أوكل الأمر إلى الشجاعة و الجرأة وقوة البدن ، ومنهم مَنْ أسند الأمر إلى النوق الجسرة في اجتيازها و مجابهة صعابها ، ومنهم من أشار إلى السفر الجماعي وسيلة لتفادي خطورتها لان في الجماعة قوة ، و بما أن الصحراء تيهاء فلتاء ؛ فكان لابد لمجتازيها من أن يستعينوا بالهادي البصير العارف بمسالكها ؛ ليعينهم على قطع فلواتها و يكفيهم بلاء الضياع فيها ، أما الطريقة المغايرة و الاستجابة التي فيها من الغرابة بعض الشيء ؛فهي الانسجام و التناغم مع الصحراء و مافيها ـ ولاسيما الحيوانات ـ كما فعل الصعاليك.

الكلمات الافتتاحية : الواقع ، الطبيعة ، الصحراء ، الاستجابات .

المقدمة :

الحمدلله رب العالمين و الصَّلاة والسَّلام على رسوله محمد خير خلقه و على آله و صحبه أجمعين ، **و بعد** : فإن المراد بالواقع في هذه الدراسة ؛ ما شهدته المرحلة الجاهلية من أمور و أحداث ، وما اتسمت به من عادات وتقاليد،وأساليب حياة وتفكير ومدى انعكاس آثارها في حركة المجتمع في المسرة والمساءة، ولا سيما لدى معاشر الشعراء الذين عايشوا تلك الحياة عن كثب وعبروا بجلاء و وضوح عن مواقفهم ومواقف الجماعات منها ، و الصحراء واقع عاشه الانسان الجاهلي على وجه العموم ، و الشاعر منهم خاصةً ، إذ ارتبطت حياته بها و التمس كل مافيها و أنتجت منه الكثير من ردود الأفعال و الاستجابات التي كان لابد منها لمسايرته و مجاراته و الإعانة على اجتيازها و التغلب على صعابها ، و هذا الموضوع (الصحراء) فيه شيء لافت للنظر عند الشعراء ، يثير عواطفهم ، و يحرك ساكنهم، فأخذوا يصفونها و يصورونها أدق الوصف و أحسن التصوير و من ثم يذكرون تلك المعالجات و الاستجابات أو الأساليب و الطرائق التي لابد منها في مواجهتها و محاولة التأقلم معها أو حتى للإغاثة في تجاوز قسوتها ، وما كان لهذا الواقع والاستجابة له من قبل الشعراء إلا أن يفيض بهذ الكم الهائل من الأعمال الشعرية الخالدة التي أصبحت إرثاً تتغنى بها الأمة و تعولُ عليها في زيادة معرفتها و توسيع ثقافتها ؛ فكانت الصحراء على هذا النحو سجلاً تاريخياً حافلاً يعين مَنْ أراد الوقوف على حياة إنسان الصحراء في ذلك الزمن البعيد .

1- واقع الصحراء

إن معجم الشعر العربي القديم يتضمن ألفاظاً غزيرة أوحت بها الصحراء ومظاهرها و طبيعة الحياة فيها ، فلفظة (صحر) المكونة من الصاد والحاء والراء أصل في بنية الكلمة ، تدل على معنيين ، أحدهما البراز في الأرض ، والآخر لون من الألوان ، يقال : أصحر القوم إذا برزوا إلى الصحراء لايسترهم شيء ، وأصحر الرجل : نزل الصَّحراء ، وبرز إلى فضاء واسع لا يواريه

شيء ، والأصل الآخر الصُّحْرَةُ ، وهي لون أبيض مُشرَبٌ حمرةً خفيفة (ابن فارس،1979م،333/3) ، يقول النابغة الذبياني (الذبياني،دت،111) :

وغـــــارةٍ ذات أظفـــــار ململـةٍ شعواء تعتسف الصحراء و الأكما

الصَّحْراءُ مِنَ الأَرْضِ مِثْلُ ظَهْرِ الدَّابَّةِ الأَجْرَدِ لَيْسَ بِها شَجَرٌ ولا إكامٌ ولا جِبَالٌ مَلْساءٌ (ابن منظور،دت،2403/4) ، ووضع العرب للصحراءِ نحواً من أربعين اسماً ، وجميعها تلمح فيها ما تمتاز به الصحراء من الصفات والدلالات عن غيرها من البقاع والأراضي ، ولعل من أهم تلك الاسماء (القَفْر ، الفلاة ، البرَّية ، البَيْدَاء، الفَيْفَاء ، المفازة ، البَسْبَس ، السَّبْسب، التَّيْهاء ، الدَّيمومة، المَهْمَه ، الخَرق ، الصَّرْمَاء ، الفَدْفَد ، المُومَاة ، القِيُّ ، التنوفة ، الدوّ، البَلقَع، المَرْت ،التَّيْمَاء ، اليَهْمَاء ،المهلكة ، النَّفْنَفُ ، الصَّرْدحُ ، السَّهْب ...) (عبد الوهاب،2007م ،3 2-31) ، وهي أسماء تدل إما على الغلظ والصلابة واليبس أو الملاسة والاستواء،أو الجدب وشحة الماء والشجر، أو تشير إلى الأمكنة المقطوع عنها الخير، أو المترامية الأطراف المعزولة ، أو الأرض التي لاصوت فيها و لا أنيس ، أو الأرض التي لا مسلك فيها و تتلف من يسلكها ، فلا عَلَمَ بها ، ولا يُهتدى لطرقها التي تضمن النجاة والفوز لمن يرتادها . ومعاني هذه الأسماء كلها تشير إلى مخاطر كثيرة للصحراء تهدد من يجتازها أو يعيش في أكنافها ، فأي قسوة أشد وأعظم من أن لا يجد إنسان الصحراء مطعماً يطفئ جوعه أو مشرباً يسكن عطشه أو انيساً يطهره من بعض وحشته ، أو هادياً يقيه متاهات الطرق ، وضلال المسالك ؟!

وقد عاش العربي حياة الصحراء ، فعرفها قبل معرفته بالبحار والأنهار وجال في وديانها و وهادها وسهولها و رمالها ؛ فاستنبط الماء من جوفها وذاق هجيرها وحرَّها و زمهرير شتائها وظلها واعتدال جوها خريفاً ، وامتزج الإنسان بهذه البيئة حتى أصبحت جزءاً من حياته فلا يجد بديلاً لها ولا متحولاً عنها ، ومنها استمد تجارب حياته ونمط عيشه وأسلوب لغته وثقافته و رؤيته للحياة و مجابهته لها (ينظر : م ن ،10)،وللصحراء على الإنسان فضلٌ لا يُنكر في توجيه حياته وفكره و سلوكه ،فقد تركت أثراً لا تمحوه الأيام من ذاكرته ، وأكسبته قسوة الصحراء قوة ، وبعثت فيه عزماً لايلين ، ومنحته الذهن الثاقب والذكاء المتوقد ، وخلعت عليه في اتساعها ، وترامي أطرافها برود السماحة والكرم والخلق الرضي (ابن ناصر،2006م، 3) .

وما الصحراء إلا فضاء واسع الأرجاء ، كثير المخاطر ، عظيم المخاوف . بيئتها قاسية تفتقر إلى مقومات الحياة ؛ فالحيوان فيها نادر والنبات لايتجاوز نوعاً من الأعشاب الخشنة و الشوك والصبار والنباتات التي تتحمل الجفاف ، فهي تمثل مكان الإطلاق والامتداد ، مكان التشابه . فهي محيط من الرمال يتيه فيها الإنسان لتشابه جزئيات تكوينها والظاهرة المكانية هي ظاهرة تنوع وامتلاء ، والصحراء ظاهرة امتداد وخواء تعمق السكون المادي ، وتعكس وحشة في نفس الفرد الجاهلي (الطالب ، 1989، 26) ، هذا و ترتبط حياة أهل الصحراء بالمطر ارتباطا ثيقاً حتى لقد سموه غيثاً وحياً ،فمن عوامل الجدب فيها؛ قلة المطر وتباعد فترات سقوطه ، وهذه تزيد من قسوة الحياة فيها لكثرة أيام جفافها .

بالإضافة إلى ذلك ؛ فإنك إن ذكرت الصحراء لابد لك من أن تذكر السراب وما يثيره في الصحراء؛ لأنه من الظواهر الصحراوية المعروفة منذ القدم ، فكان له دور كبير في ضياع المسافر و إيهامه وتضليله ، فحين يتراءى له يوحي إليه بقرب الهدف المقصود ؛ فيعطيه البصيص من الأمل ، و يبث فيه شيئاً من الإطمئنان ، لكنه سرعان ما يفاجأ بالحقيقة المرة التي تكشف له عن ظن واهم مكذوب وبصر مخدوع ، كما قيل في أمثال العرب : " لَيْسَ بِأَوَّلِ مَنْ غَرَّهُ السَّرَابُ "(الميداني،1959م، 1181/2) ويقول في ذلك أمرؤ القيس (أمرؤ القيس،1990م، 98) :

ألم أُنضِ المطي بكلِّ خَـــــرْقٍ أمَقَ الطولِ لمَّـــاع السَّـــرابِ

وقد وصف آخرون ذلك السراب الموهم الذي يخافه المسافرون إذ يقول الشاعر عمرو بن قميئة (ابن قمية،1994م، 70):

وبيـــــــداءَ يلعب فيها السرا بُ يخشى بها الْمدلجون الظِلالا

تجاوزتُهـــــا راغبـاً راهبـــــاً إذا ما الظبـــــاء اعتنقن الظِلالا

وكذلك وصف الشعراء الصحراء بالتيهاء على أنها تعرض المسافر إلى التيهان والضياع فيها لأنها مترامية الأطراف، لاعلامة و لا إشارة فيها تدلك على الطريق الصحيح ، يقول الحطيئة في هذا الصدد (الحطيئة،1993م، 178) :

وَطاوي ثَلاثٍ عاصِبِ البَطنِ مُرمِلٍ بِتيهاءَ لَم يَعرِف بِها ســـاكِنٌ رَسمـا

أَخي جَفوَةٍ فيهِ مِنَ الإِنسِ وَحشَةٌ يَرى البُؤسَ فيها مِن شَراسَتِهِ نُـــعمى

فهي تيهاءٌ ، إذ لاعلامات فيها لترشد المسافر إلى الصواب ، وهذه واحدة من كبرى مخاوفها ،لأنها تعرض المسافر إلى الضياع والهلاك في أي وقت . و مالصفات هذه إلا أدلةً فارقة تدل على مدى عظمة أهوال الصحراء وكم هي مهلكة لمن يريد اجتيازها .

فهذه البيئة الجغرافية الطبيعية القاسية التي عاشوا و ترعرعوا فيها خلقت منهم رجالاً أقوياء ، فالصحراء ـ كما يقرر الدارسون ـ تربى في نفوس أبنائها صفات الشجاعة والجرأة ، والكبرياء العنيد ، كبرياء الرجال الأحرار ، فحياة الصحراء بما فيها من مخاطرة واعتماد على النفس ، تغرس في نفوس أبنائها الشجاعة والقوة والعزيمة والاصرار(خليف،دت، 75).

فالصحراء إذاً جزء من الطبيعة التي عاشها الإنسان العربي ولاسيما الشاعر الجاهلي ،والذي تأثر بها كثيراً ؛ ذلك لأنه كان وثيق الارتباط ، شديد الصلة بها ، على الرغم مما كانت تثيره في طوايا نفسه من رهبة وخشية وهو يعيش في كنفها و يغامر أشد المغامرات فيها. ومما لا شك فيه أن الطبيعة هي الملهم الأول للشاعر الجاهلي ، يستمد منها أوصافه و أغراضه ويتأثر بها أشد التأثر ، ويختلف هذا التأثر من شاعر إلى آخر . فالصحراء كانت مكاناً وموطناً وعاطفة جياشة شفت قلوب الشعراء بمواردها ذات الطبيعة الحية منها والجامدة(عبد الوهاب،2007، 12) ، فكان الشاعر مطواعاً سريع الاستجابة لوصف مشاهدها العاتية ومظاهرها القاسية و إبرازها بطريقته المتميزة ، ولعل الطريق الممتد ، والزمن ، والسراب ، وعزيف الجن ، وحيوان الصحراء ، وطيرها ، ومياهها ، والريح ، هي جلُّ ماوقف عليه الشعراء ،وأهم ما وصفوه من معالم الصحراء في أثناء رحلاتهم الضاربة في أعماق الصحراء . والأعشى الكبير واحد من الشعراء الذين ترحلوا في عرض الصحراء فقدم لنا في شعره صوراً من الصحراء ناطقة بالرعب والحذر ، والترقب (المومني،2012م، 254) ، إذ يقول(الأعشى،دت،89) :

وَيَهمـــاءَ قَفرٍ تَخرُجُ العَينُ وَسطَها وَتَلقى بِهـا بَيضَ النَعامِ تَرائِكا
يَقولُ بِها ذو قُوَّةِ القَـــومِ إِذ دَنـــا لِصاحِبِهِ إِذ خافَ مِنها المَهالِـــكَا
لَكَ الوَيلُ أَفشِ الطَّرَّفَ بِالعَينِ حَولَنا عَـــلى حَذَرٍ وَأَبقِ ما في سِقائِكا

في هذه الأبيات يرسم الأعشى رسماً دقيقاً إحساسه تجاه ظرف عصيب يواجهه وهو يقطع الصحراء المقفرة ، وقد أبان عن إحساسه الخائف ذلك عبر أربعة أشياء ألقى بعضها على النعام الذي أكرهته الصحراء على مغادرة بيضه لضيق حاله ، وتعذر الحياة عليه ، ثم إن هذه الصحراء الضينة لا يأمن مخاطرها حتى الرجل القوي المعتد بقوته ، وبعدها يؤكد الشاعر على ضرورة الحذر والاحتياط للمفاجآت الفاجعة المحتملة الوقوع ،و أخيراً لا يني الأعشى عن التأكيد على وجوب التأني في استعمال الماء ؛ لأن الاسراف فيه يعني نفاده وفي نفاده نهاية الحياة . وللمرقش الأكبر أيضاً أبيات يصف فيها الصحراء و ترامي أطرافها و وحشتها ، قائلاً (المرقش،1980م، 36):

ودَوِّيَّةٍ غَبْراءَ قد طالَ عَهْدُهـــا تَهالَكُ فيها الوِرْدُ والمَرْءُ ناعِسُ
قَطَعْتُ إلى مَعْرُوفها مُنْكَراتِها بِعَيْهامَةٍ تَنْسَلُّ واللَّيْلُ دامِـــسُ
تركْتُ بها لَيْلاً طَويلاً ومـــَنْزِلاً ومُوقَدَ نارٍ لَم تَرُمْهُ القَوابِـــسُ
وتَسمعُ تَزْقاءً منَ البومِ حَولَنا كما ضُربتْ بعدَ الهُدُوءِ النَّواقِسُ

هذا التصوير البديع الحي الذي صوره الشاعر إنما هو دليل لحال الصحراء ومناخها و ترامي أطرافها ، ولشدة الرياح فيها لايجد أثر ناقته حين يتحول من مكان إلى آخر و تتلاشى فيها الأصوات ، وما الصفات هذه إلا دلالة على خطر الصحراء و أنها مهلكة لغير الكفؤ.

2- الاستجابات للواقع الصحراوي

إن كل هذا الذي ذكرناه في المحور الأول ماهو إلا وصف لتلك الصحراء التي كانت واقعاً عاشه الإنسان في عصر ماقبل الإسلام بكل ما فيه من مخاوف وخبايا ، فكان لابد من مواجهة هذا الواقع سلباً كان أو إيجاباً؛ فالإنسان يعمل جاهداً على أن يتلاءم مع هذا الواقع ، ويسعى دائماً لإيجاد حلول لتلك المخاوف والخبايا والمشاكل التي تثيرها الصحراء. فمن الطبيعي أن تؤثر كل بيئة في أبنائها ، وتطبع تفكيرهم بطباعها ، وتوحي إليهم بكثير من أفكارهم ، وتصبغ إلى حدٍ بعيد مشاعرهم وأحاسيسهم بصبغتها (عبدالسلام،1991م، 9)، وهذا يعني أن الإنسان يتأثر بما حوله وتكون له استجابة لما يثيره ، والشاعر هو أكثر إحساساً تجاه ما يجري في الحياة اليومية فتكون له استجابة لهذا الواقع ، واستجابة الشعراء لواقع الصحراء اختلفت باختلاف الشعراء ؛ فمنها ما كان سلبياً ومنها ما كان إيجابياً ،و كان لكل منهم طريقته في الاستجابة والمجابهة ، ذلك بحسب ما كان يملك من مقومات و أدوات. فاختلاف الظروف و الأحوال و الأطباع البشرية والعادات والتقاليد أدى إلى أن تكون الاستجابات مختلفة ايضاً . و لعل من أبرز تلك الاستجابات التي تبناها الانسان الجاهلي لذلك الواقع الذي عاشه في الصحراء هو أنه استجاب لهذا الواقع المرير المخيف و جابهه بجرأته و شجاعته و صبره و تحمله كما عبر عن ذلك زهير مفتخراً إذ يقول(أبي سلمى،1988م، 49ـ50):

وتَنْوفـــةٍ عمياءَ لا يجتازُها إلا المُشيَّعُ ذو الفـؤاد الهادي

قفرٍ هَجَعْتُ بها ولستُ بنائمٍ و ذراعُ مُلْقية الجـران وسادي

فالصحراء التي يجتازها زهير متباعدة الأطراف ، وقد سماها (عمياء) كناية عن تعذر الاهتداء لطرقها ، بيد أن زهيراً تصدى لها بجنان ثابت ، وعقل ذكي ، واحساس يقظ ، و صبر غير خذول ؛ فصارت تلك الصحراء مغلوبة قبال عزمه ، وصارت طوع إرادته التي يعز وجودها إلا عنده و عند نظرائه من الشجعان . فالصحراء إذاً مهلك لمن لا شجاعة له ، ولا يمكن أن يجتازها إلا الكفء الجريء الذي لايعرف الخوف ولا يهاب الصعاب ، قال أبو قيس بن الأسلت (الأوسي ،1391م، 81) :

وأَقطـعُ الخَرْقَ يُخـافُ الــرَّدى فيه علــى أدمـــــاءَ هـــلواعِ

و من الشعراء الذين عبَّروا كثيراً عن صبرهم و جرأتهم في مجابهة الصحراء هم الصعاليك ؛ فالصعلوك لا يخشى الصحراء التي يخشاها أكثر الناس فهو يقطعها واثقاً بنفسه صابراً قوياً متجلداً كما ، قال عروة بن الورد(ابن الورد ،1998م، 71) :

وغَبراءَ مَخشيٍّ ردَاهــا مَخُوفــةٍ أخوها ، بأسبابِ المنايا مُغرَّرُ

قطعتُ بها شكَّ الخِلاجِ ، ولم أُقُلْ لخيّابةٍ ، هيّابةٍ : كيفَ تأمرُ؟

ويخوض الشنفرى غمار الصحارى مستعيناً بقوته وقدرة تحمله أعباءها ، إذ يقول(الشنفرى،1996م، 67) :

وآلف وجه الأرضِ عندَ افتراشِهـا بــأهدأ تُنبْيه سناسِنُ قُحَّـــــلُ

وأعْدِلُ مَنْحُوضــاً كأنّ فصُوصـهِ كِعابٌ دحَاهـــا لاعبٌ فهي مُثّــلُ

فاجتياز الصحراء عند الشنفرى بحاجة إلى جسم قوي ، متين قد تعود على الخشونة ، وما الذراع الضعيف القليل اللحم ؛إلا نتيجةً لشحة الطعام والشراب في هذه الصحراء الجافة ،ليس فيها شيء من الحياة . فالتأكيد على ضرورة حاجة الإنسان للجسم القوي ، المتين ، السَّليم لاجتياز متاهات الصحراء ليس مقصوراً على الشنفرى ؛ وإنما وجد عند شعراء جاهليين آخرين ، فلكثرة ارتباطهم وتعلقهم بها أصبحوا على علمٍ تام بها و وبما يساعد المسافر على عبور مفاوزها و مخاوفها ، فلبشر بن أبي خازم أيضاً أبيات يصف فيها مجابهته لقسوة الصحراء متسلحاً بقوة جسمه ، ومتانته، وصلابته ، قائلاً (الأسدي،1960م، 147) :

شَجَجتُ بِها إذا الآرامُ قالَت رُؤوسَ اللامِعاتِ مِنَ الفَيافي

جعل الشاعر للصحارى رؤوساً ،وجعل مسيره فيها تحطيماً لهذه الرؤوس ، وما هذه القسوة على الصحراء إلا محاولة لتحديها و مجابهتها ومعاملتها بالمثل ، أي بمثل قسوة الصحراء .

هذا وقد كانت حياة العرب حينئذ قاسية فيها صراع دائم بين الإنسان و قسوة الطبيعة ؛لأن كل مافيها يوحي و يشير إلى أن البقاء للأصلح والأقوى ، والفناء للضعيف، لذلك كان من صفات الإنسان العربي أنه صبور قوي ،لأن الصحراء تغرس في نفسه الشجاعة والقوة و تُربّيه على الكبرياء و الشهامة والرجولة والعزة وتعوده على الحرية والانطلاق ، ليكون قادراً على مجابهة هذه البيئة العصيبة التي لاترحم (القيسي،19964م، 46). ونظراً لما كانت تثيره الصحراء من خوف ، و رهبة في النفوس ، كان الرَّحالة يقطعون الصحراء اثنين اثنين أو جماعاتٍ ليأمنوا أهوالها ويتشجعوا عليها و يركبوا مخاطرها ويجتازوها إلى بر الأمان (حسن،2007م، 79) ، وهذه استجابة أخرى تختلف عن التي سبقتها ، إذ يقول أبو ذؤيب الهذلي (الهذلي،2003، 68) :

مُستَوقِدٌ في حَصاهُ الشَمسُ تَصهَرُهُ كَأَنَّـــهُ عَجَمٌ بِالكَفِّ مَرضـــوحُ

يَســتَنُّ في جانِــبِ الصَحـراءِ فائِرُهُ كَأَنَّهُ سَبِطُ الأَهـــــدابِ مَملـوحُ

جــاوَزتَهُ حــينَ لا يَمشي بِعَقوَتِـــهِ إِلّا المَقــانِبُ وَالقُبُّ المَقــاريحُ

بُغايَةً إِنَّما يَبغي الصِحابَ مِن الــ ـفِتيانِ في مِثلِــهِ الشُمُّ الأَناجيحُ

ففي هذه الأبيات، الاستجابة قد اختلفت ، فإذا كانت القوة و الصبر والاعتماد على النفس الجريئة هي الوسيلة المعتمد عليها لمجابهة مخاوف الصحراء ومخاطرها ؛ فهنا روح الجماعة و التعاون بين أثنين أو أكثر هو المأخوذ به لمجابهة ذلك الواقع المرير(الصحراء) المخيف الذي لابد من مجابهته واجتيازه إلى بر الأمان ، فهذه الصحراء المضلة التي قطعها الرجل الذي عناه أبو ذؤيب ـ لا أكمه فيها يشبه بعضها بعضاً ، ويرتفع فوقها سراب شديد الهياج ممتد النواحي لايقصدها السُّفار إلا جماعات لا أفراداً ؛لكن ممدوح أبي ذؤيب يقطعها وحده من غير معينٍ أو ظهير ، فهو وحده يأتي بما لا يؤتى إلا لجماعات وهذا يعني أن ارتياد الصحراء على شكل جماعات مترافقة يوفر لها استجابة مريحة ضامنة للاطمئنان .

وقد أخذ آخرون منحىً آخر في مجابهة ما تحويه الصحراء من مخاوف ،و مخاطر وما إلى ذلك ، وكان لهم نوع أخر من الاستجابة ، فقد جابهها بعضهم بدقة اختيارهم لنوقهم التي قد خصها الله بسمات جسمية مختلفة عن أي حيوان آخر ، فهي قادرة على الحياة في أصعب الظروف . وقد حرصوا على دقة اختيار الناقة التي سوف تسعفهم في أسفارهم، فاتخذوا الناقة التي تتصف بواحدةٍ من هذه الصفات : الجسرة ، القوية ، المتينة ، السريعة ، الدوسرة ، الكوماء ، الوجناء ، العرفاء ، العذافرة ، الكناز،

الجرجور ، العيهم ، القصيد ، السحوف ، العطل ، الجبلة ، الجلالة ، والمقذفة باللكيك (اللحم) (الصائغ،2010م،198) ؛ فإن كل هذه الصفات منصرفة إلى تصوير شدتها واكتنازها ،وهي في الوقت نفسه تظهر حجم التحدي الكبير لعوائق الصحراء و متاعبها التي يعمل الانسان جاهداً مستعيناً بكل السبل التي تنجيه من مهالك الصحراء ، يقول الأعشى (الأعشى،دت،17) :

وَبَيْـدَاءَ قَفْرٍ كَبُرْدِ السّدِيـر مَشَارِبُـهَـا دَاثِـرَاتٌ أُجُـنْ
قَطَعْتُ إذا خَـبّ رَيْعَانُـهَا بِدَوْسَرَةٍ جَـسْرَةٍ كَـالَفَـدَنْ
بِحِقّتِهَا حُبِسَتْ في اللَّجِيـ نِ حتى السّديسُ لـها قد أسَنّ
وَطَـالَ السّنَامُ عَلى جَبْلَةٍ كَخَلقاءَ مِن هَضَباتِ الضَّجَنْ

ففي لفظة (جسرة) دلالة وإيحاء لسلطان الصحراء على المسافر ،فلا يتهيأ للمسافر الضعيف أن يقطع هذه الصحراء إلا بعد تهيؤ واستعداد تامين يواجه بهما ذلك الخطر المنتظر ، فتلك الرهبة من الصحراء هي التي وقفت وراء تسميتهم الناقة التي تضرب في عرض الصحراء بـ(الجسرة) فالنعت هذا يضاد الخوف و يشير إلى التحدي ،لأن الناقة تجسر على الصحراء والهول وتقتحم الأمكنة الموحشة ، ويؤكد الأعشى في حديثه عن الصحراء و تصويره لهولها و صعوبة اجتيازها على الناقة الجسرة التي هي في نظره الناجية التي تنجو بالمسافر إلى ما يريد ، إذ يقول (الأعشى،دت،37) :

وَيهمـاءَ تعـزِفُ جنّانُهَـا مَنَاهِلُهَـا آجنـاتُ سُـدُمْ
قطعـتُ بِرَسَّـامةٍ جَـسْرَةٍ عُـذَافِرَةٍ ك الفَنيقِ القَطِـمْ
غَـضُوبٍ مـن السَّوطِ زَيَّافـةَ إذا مـارتَـدى بالسَّرَابِ الأكَمْ
كَتُومِ الرُّغَـاءِ إذا هَجَّـرَتْ وكانـتْ بقَّيـةَ ذَوْدٍ كُتُـمْ

فالناقة الجسرة إذاً ، تمثل العبور إلى آتٍ مشرق عند الجاهلي ، وهي القادرة على اجتياز الصعاب و إنهاء المعاناة . و كشأن الأعشى شأن الشاعر عمر بن قميئة الذي يسجل ماعاناه من خوف وتعب وارهاق في قطع الصحراء آملاً الوصول إلى ممدوحه ، إذ يقول (ابن قميئة،1994م، 70 ـ 71) :

وبيداءَ يلعب فيهـا السَّـرا بُ يخشى بها المُدلجون الضّلالا
تـجاوزتهـا راغبـاً راهبـاً اذا مالظباءة اعتنقـن الظِـلالا
بضامـرةٍ كأتـانِ الثّميـل عيرانـةٍ ما تشكّـى الكـلالا
إلـى ابن الشقيقـةِ أعملتهـا أخـف العقابَ و أرجـو النَّـوالا
إلـى ابن الشقيقة خيرِ الملـوك أوفاهـمُ عنـد عقـدٍ حِبـالا

يزيد السراب وحشة إلى وحشتها ، فلشدة هولها و مخاوفها يتراءء له فيها السراب ؛ فيزيدها وحشة و رهبة ، وخوفاً من الضلال فيها ، إذ يقطعها على ظهر ناجية قوية ، صلبة ، سريعة الجري ، لايثنيها شيء ، وكأنها أتان وحشية تفر من صياد ، فطول الرحلة و شدة أهوالها تكاد تزهق الناقة ، مبتغياً من هذه الرحلة الوصول إلى ممدوحه.

هذا وقد وصف الشعراء الناقة بأوصاف الكثير من الحيوانات الأخرى التي فيها من الجسارة والسرعة وما إلى ذلك من الصفات التي تسهم في النجاة من مخاوف الهلاك في الصحراء ، يقول الأعشى مشبهاً ناقته بالحمار الوحشي (الأعشى،دت، 163 ـ 165) :

وَأَبـيَـضَ كَـالنَـجـمِ آخَـيـتُـهُ وَبَـيـداءَ مُـطَّرِدٍ آلُها
قَـطَـعـتُ إذا خَـبَّ رَيـعـانُها وَنُـطِّـق بِـالهَـولِ أَغـفـالُها
بِـنـاجِـيَـةٍ مِن سَراةِ الهِـجـا نِ تَـأتي الفِجاجَ وَتَغتالُها
تَـراها كَـأَحـقَـبَ ذي جُـدَّتَـي نِ يَـجـمَـعُ عـونـاً وَيَجتالُها
....
فَـذَلِكَ شَـبَّهـتُهُ نـاقَـتي وَمـا إن لِغَـيـرِكَ إعـمالُها
وَكَـم دونَ بَيتِكَ مِن مَهمَهٍ وَ أَرضٍ إذا قـيـسَ أَميـالُها
يُحـاذَرُ مِنهـا عَلـى سَفرِها مَهامِـهُ تِيـهٌ وَأَغـوالُها

حشد الأعشى في هذه الأبيات لصحرائه ضروب الصفات التي تجعلها مخيفة عصيَّة على سالكيها فسرابها متتابع، وأطرافها مترامية لاتحيط بها الأبصار ، وطرقها مضلة لا يميز بعضها عن بعض فارق أو علامة ، لكن الشاعر احتاط للأمر ، واحترز من أسباب الهلاك إذا أعد لنفسه ناقة كريمة أصيلة سماها (الناجية) وفي هذه اللفظة إشعار بوجود أخطار ؛ فالناجية هذه تنجي بسرعتها

صاحبها من الأهوال وهو يقطع الصحارى وصولاً إلى الممدوح . فالناجية و النَّجاةُ هي النَّاقَةُ السَّرِيعَةُ التي تَنْجو بمَنْ رَكِبَهَا (ابن منظور،دت، 4360/6) .

فالأعشى شديد الاعتداد بنفسه لأنه اقتحم صحراء جرداء عارية من كل شيء ، شديدة الاستواء ، لايسمع فيها إلا عزيف الجن ، بيد أنه غالبها بناقته الجسرة الخبيرة بالمجاهيل ، قائلاً (الأعشى،دت، 59) :

وَبَلدَةً مِثلِ ظَهرِ التُرسِ موحِشَةٍ لِلجِنِّ بِاللَيلِ في حافاتِها زَجَـــلُ
لا يَتَنَمّى لَهـــا بِالقَيــظِ يَركَبُــها إِلّا الَّذينَ لَهُم فيمـا أَتَوا مَهَـــلُ
جاوَزتُهـــا بِطَليحٍ جَسرَةٍ سُـرُحٍ في مِرْفَقَيها إِذا اِستَعرَضتَها فَتَلُ

فالمتأمل في لفظة (جسرة) يستشف منها دلالة التحدي ،وقوة العزم ، وتماسك الارادة ، فالشاعر بهذه الناقة الأثيرة المتسمة بالعنف والنشاط وفر لنفسه الاستجابة المناسبة الناجحة التي تغلب بها على الأسباب المهددة لحياته أوان ركوبه الصحراء .

إن كل هذه الصور و التشبيهات التي شبّه بها الشعراء الناقة ، و وصفوها بها ؛ ليست تحمل إلا دلالة واضحة على أن للصحراء مخاوف و صعاباً و مفاوز مهلكة لا يقطعها إلا الكفء الذي يجد في نفسه القوة و الجرأة والعزيمة والإصرار، و يأخذ حذره ، ويعمل على تهيئة نفسه تهيئة محتاطٍ لكل عارض محتمل .

وكانت لهذه التجارب التي قام بها الإنسان العربي حينئذ دور كبير في اكسابه معرفة تامةً بخفايا تلك الصحاري ،و ما تكتنفها من صعاب ، فاحتاط لأمره ، وتمعَّن في تدبره سبل النجاة ، فلم يبخل بشيءٍ من أجل التعجيل والإسراع في تخطّيها ، مدركاً أن أي ريث أو إبطاء منه قد يوقعه في المساءة ، وقد يجعله فريسة للموت ، وآية ذلك قول عروة بن الورد (ابن الورد ، 1998م، 93) :

كليلةِ شيباء التي لستَ ناسيـاً وليلتنا، إذ منّ، ما منّ، قِرمِـل
أقولُ لـه: يا مـالِ أُمُّك هابــلٌ متى حُبِسَتْ على الأفَيَّحِ تُعقَـل
بدَيمومةٍ، ما إن تكادُ ترى بــها من الظّمإِ، الكومَ الجلادَ تنوّل
تُنكَّرُ آيـــاتُ البــلادِ لمالــكٍ وأيقنَ أن لا شيء فيها يُقَـوَّل

كثرت المشاهد و تعددت الأوصاف و لازالت الناقة هي الناجية التي لا يمكن الاستغناء عنها في اجتياز الصحراء ؛ فالكَوْمَاءُ هي النَّاقَةُ العظيمةُ السَّنَامِ ، الضَّخْمَةُ ، التي ضرب المثل بها لأنها من خيار إبل العرب ، التي لابد منها لاجتياز تلك الصحراء الجافة ،الشحيحة، الموحشة ،فاجتيازها بحاجة إلى القوة والصلابة والمتانة ،لا إلى الضعف و الهزال ، يقول أمرؤ القيس في هذا الصدد واصفاً ناقته التي أخذت به إلى اجتياز أهوال الصحراء (أمرؤ القيس،1990م، 237):

وَتَنُوفَـةٍ جَـــرْداءَ، مرَهْلِكَـةٍ جاوَرْتُها بِنَجائِبٍ فُتْـــــلِ
فَبَتِتْ يَنْهَسْنَ الجَبُوبَ بِـها وَأَبِيتُ مُرْتَفِقاً عَلى رَحْلـــي

فالشاعر يفخر بنفسه على أنه قد اجتاز تلك التنوفة (الصحراء) نحو مايريد، فمن المتعذر اجتيازها إلا بالاستعانه بناقة شديدة ذات صبر وتحمل وقوة وإلا فإن المصير المحتوم هو الهلاك .

وهناك نوع آخر من الاستجابة يتحاشى به قاطع الصحراء مخاطر الضياع والتيهان وهو الاستعانة بهادٍ بصيرٍعارف بمسالك الصحراء يعينه على قطع الفلوات ، يصغي إليه ، ويخضع لتوجيهه ، وبخلاف ذلك فوحده يتحمل وزر مايفعل ، قال الأعشى (الأعشى،دت، 71) :

وبيداءَ تحسِبُ آرامَهـا رجـالَ إيـــادٍ بأجلادهـا
يقول الدليـل للصِّحـــا ب لا تـطئوا بعـض أرصادها

هكذا تصدوا إذاً لخطر الضياع والتيهان في الصحراء ، فالهادي يهديهم إلى طريق الصواب و النجاة والسلامة . وليس الهادي بكافٍ للنجاة من الضياع والتيهان في الصحراء ، فقد يحار الدليل أيضاً ، أو تخذله ذاكرته التي يستقي منها ، فيكون أدعى للخشية والخوف على النفس وأدق في الدلالة على شدة الهول ، قال الأسود بن يعفر (ابن يعفر ، 1970م، 60) :

وَسَمحَةِ المَشــي شِملالٍ قَطَعتُ بِها أَرضاً يَحارُ بِها الـهادونَ دَيموما
مَهامِهـــاً وَخُروقاً لا أَنيــسَ بِـــها إِلا الضَوابِحُ وَالأَصداءُ وَالبومـــا

وللصعاليك صولات و جولات في الصحراء ، فالتشرد الذي كانوا ضحيته ؛ جعلهم أن يكونوا على علم و دراية واسعة بأسرار الصحراء ، ومعرفة دقيقة بشعابها و دروبها ومسالكها و مياهها، و مقدرة فائقة على الاهتداء في مجاهلها ، واختراق متاهاتها المضلة دون دليل (خليف ،دت،56) ، فرواة الأدب العربي يصفون السليك (البعيد الغارة) بأنه " كان أدل من قطاة " (الأصفهاني ،دت ، 375/30) ، و يصفون الصعاليك جميعاً بأنهم أهدى من القطاة (المرزباني،2005م، 503) ، فإن كان الناس بحاجة إلى هادٍ

يسعفهم و يرشدهم إلى الطريق الصحيح في متاهات الصحراء ؛ فالشاعر الشنفرى غنيٌ عن ذلك يتحدث عن اهتدائه إلى شِعب في أعماق الصحراء المجهولة بصعاليكه دون أن يهديه إليه دليل أو يصفه له خبير (خليف،دت،57) ، يقول (لامية العرب ، 1964، 63-65) :

وخَـــرْقٍ كظَهْرِ التُّرْسِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ بعامِلَتَيْنِ ظَــهْرُهُ لـيس يُعْمَـــلُ
وأَلْحَـــقْتُ أُولاهُ بأُخـــراهُ مُوفِياً علـى قُنَّةٍ أُقْعِي مِـراراً وأَمْتُـــلُ
تَرودُ الأَرَاوِي الصُّحْمُ حَوْلِي كأنها عَــذَارَى عَليهنَّ الْمُلاءُ الْمُذَيّـــلُ
ويَرْكُدْنَ بالآصـــالِ ح ولي كأَنَّنِي مِن العُصْمِ أَدْفَى يَنتحِي الكِيحُ أَعْقَلُ

فالصعلوك خارق لتلك الصحراء النائية الخالية، ولكثرة مخالطته لها أصبح كأنَّه واحداً منها ،عالم بدقائِقها و معالمها وخباياها .

وهناك استجابة أُخرى عمد إليها الشعراء ولاسيما الشعراء الصعاليك تجاه الواقع المرير للصحراء ، وقد يبدو عليها بعض الغرابة إذا ما وضعت إلى جوار الاستجابات السابقة ، وهذه الاستجابة تقوم على التآلف والتناغم مع حيوان الصحراء ،إذ ترى هذا الحيوان الوحشي الذي يشكل مصدر خطر على حياة مرتادي الصحراء يتحول إلى صديق حميم للصعاليك قيثقون به خالص الثقة و يطمئنون إلية أعظم الاطمئنان مفضلين أياه على بني جلدتهم الذين ضيقوا عليهم و اضطروهم إلى الانسلاخ من قبائلهم و اللياذ بالصحراء ، و الانتماء إلى حيوانها انتماء صدق و وفاء ، فحيوان الصحراء في عرف الصعاليك حائز على طباع انسانية حقة إذ تنكَّر الانسان لانسانيته ، ولعل من أصدق الشواهد على ذلك الصورتان اللتان نجد إحداهما عند تأبط شرّاً و الأخرى في لامية العرب عند الشنفرى، فكلا الصعلوكين مفارق مجتمعه النظامي حيث يعيش البشر ، إلى أعماق الصحراء البعيدة حيث يعيش الوحش ، أما تأبط شرّاً فقد ألفته الوحوش لطول ماعاش بينها مسالماً لها ، حتى أنست به ، واطمأنت إليه ، إذ يقول (تأبط شرا، 1984م، 115 ـ 117) :

يَبِيتُ بمَغْنَى الوَحْشِ حَتَّى ألِفْتَــهُ وَ يُصْبِحُ لا يَحْمِيَ لَها ـ الدَّهر ـ مَرْتَعا
....
رَأَيْنَ فتىً لا صَيْدُ وَحْــشٍ يُهِمُّــهُ فَلــو صَــافَحَتْ إنْساً لَصَافَحْنَهُ معــا

يبدو أنَّ لا مسلك سوى الأُلفة و الأنسة مع الحيوان ؛ فلطول عهده به ، ألِف القفار و لَزِمَ مرابع الوحوش ومساكنها حتى أنيست به وسكنت إليه وعدَّته وأحداً منها . هذا و إن كانت الألفة والأنسة والمعاشرة لهذه الوحوش لاسبيل سواها عند تأبط شرّاً وأنه مرغم عليها، فالأمر يختلف عند الشنفرى الذي يضيف إلى أُلفته و أنسته ، الأمانة و الوفاء و السعادة في معاشرته لتلك الوحوش مخاطباً أبناء قبيلته ، يقول (الشنفرى،1996م، 59) :

أَقِيمُوا بَني أُمِّــي صُــدُورَ مَطِيِّكُــمْ فإنِّي إلى قَــوْمٍ سِوَاكُــمْ لَأَمْيَــلُ
....
ولــي دُوْنَكُمْ أَهْلُون سِيدٌ عَمَلَّــسٌ وَ أَرْقَــطُ زُهْلُولٌ وَ عَرْفَــاءُ جَيْــأَلُ
هُمُ الأَهْلُ لا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذائــعٌ لَــدَيْهِمْ وَلاَ الجَاني بما جَرَّ يُخْـذَلُ

فلشدة أُلفته وأُنسته مع تلك الحيوانات ،صار يفضِّلهم حتى على الأهل والأقارب ؛ فهؤلاءِ هم الأهل و الأصحاب الذين يحفظون السرَّ و لايخذلون الجاني إذا استجار بهم ، والوفاء عنوان لهم .

فإن أبرز الخصائص والصفات التي تمثلت بالمجتمع الجاهلي الصحراوي ،كانت في الشجاعة ،والجرأة ،والميل إلى المخاطر ، والاستهانة بالموت ، والصبر على المكاره ، وتحمل الأعباء ، والكرم ، والنجدة ، والإيثار ، والعفة ، والحلم ، والعفو عند المقدرة . وغير ذلك من الصفات التي احتواها وحملها الشعر الذي يصدق عليه وصف شعر الصحراء [1].

فالذي تبيين لنا هو أنَّ للبيئة أثراً عميقاً في أفعال الإنسان و حركاته وأنَّ تلك التحركات والردود جاءت نتيجةً لتلك الآثار التي فرضتها الطبيعة على عاتق الإنسان ، وقد اختلفت تلك الردود والمجابهات بحسب ما هو متاح للإنسان في تلك البيئة التي لا محيد له عنها.

والشاعر الجاهلي عندما تعرض لقسوة الطبيعة وجد فيها نوعاً من (الحتمية) فرضت عليه معاناته ، وكل ذلك كان مبعثاً لأن يقيم الشاعر ذاته ، ويلح على فرديته وتفوقه ؛لأن قسوة الطبيعة وخشونتها جعلته يشعر بالنقص والعجز والقمع والقلق ، فجميع هذه

(1) أثر الصحراء في نشأة الشعر العربي وتطوره حتى نهاية العصر العباسي الثاني : 22 .

المشاعر ولَّدت لدى الشاعر الرغبة في التحدي وإعادة التوازن ، وتحقيق الذات وتقييمها ، فاتجه إلى الصحراء وصوَّر وحشتها ومخاوفها و أهوالها ، و ظلمتها ، ليثبت تفوقه بتحديها.

فالصحراء إذاً واقع لا نفير منها ، و إنها تلك الارض التي لايستطيع الإنسان الجاهلي التخلي عنها؛ لأنه كان يعيش في كنفها و يلجأ إليها عند الشدة والحاجة ؛ فيقطعها طامحاً إلى رزقه و هدفه ، والذي لاغبار عليه كما أشارت النصوص الشعرية المستشهد بها أنّ في الصحراء مخاوف وأهوالاً وصعاباً ومخاطر كبيرة، و على الإنسان مواجهتها ، فاختلفت الأفكار ، و تعددت الطرائق في تلك المواجهة، فمنهم من جابه الصحراء بالقوة والصبر والجرأة ، أو العمل بروح الجماعة تفادياً لمخاطرها لأن في الجماعة قوةً و أنساً و منهم من استجاب لها بدقة اختياره للناقة ، ومنهم من استعان بوسائل أُخرى كالهادي الذي يعينه و يرشده في قطع تلك الصحاري المترامية الاطراف ، ومنهم ــ وهم الصعاليك ـــ من عقد الألفة و الانسة مع وحوش تلك الصحاري محققين الأمان الذي اقتفدوه في مجتمعاتهم البشرية .

نتائج البحث :

- إن للصحراء على الإنسان الجاهلي فضلاً لا يُنكر في توجيه حياته وفكره و سلوكه ،فقد تركت الصحراء أثراً لا تمحوه الأيام من ذاكرته ، وأكسبته قسوة الصحراء قوة وصلابة ، وبعثت فيه عزماً لايلين ، ومنحته الذهن الثاقب والذكاء المتوقد ، وخلعت عليه في اتساعها ، وترامي أطرافها صفات السماحة والكرم والخلق الرضي .
- لقد اسعفتنا المصادر بواقع هذه الصحراء وأنها كانت قاسية صعب الميراس على الانسان العربي في ذلك العصر ؛ وبذلك اضطر الانسان الجاهلي إلى أن يفكر بطرائق و أساليب تساعده في الانسجام والتناغم مع هذه البيئة الصحراوية ؛ فولدت هذه الاستجابات المختلفة المتمثلة بالاستعانة بالشجاعة و قوة البدن و صلابته ، أو السفر فيها على شكل جماعة ،أو امتطاء النوق الجسرة أو اتخاذ الهادي لتفادي الضياع فيها أو حتى الاتجاه نحو الانسجام والتناغم مع مافيها من الحيوانات التي كانت تعد مصدر خطورتها كما فعل الصعاليك .
- إن اختلاف الاستجابات من قبل الناس تجاه ذلك الواقع ؛ جاء نتيجةً لاختلاف الأوضاع و الظروف و الادوات المتوفرة لدى الفرد ، فاتخذ كل منهم ماهو مناسب له و متوفر عنده و قادر عليه ؛ فجاءت أحيانا بصورة ايجابية و أحيانا أُخَر سلبية .
- نتيجة لقسوة الصحراء و بيئتها الجافة ؛ تولَّدت علاقة وطيدة متينة بين الانسان و الحيوان حتى وصل الأمر إلى أن يكون لدى الانسان علم و دراية تامة بأدق تفاصيل الحيوان وحياته ، و بذلك أصبح للحيوان شأنٌ كبيرٌ في حياة الانسان في ذلك العصر .
- تؤكد هذه الدراسة بأن الإنسان ابن بيئته وذلك ظاهرٌ في الشعر العربي قبل الإسلام الذي عكس صورة تلك الصحراء و الانسان الذي عاش فيها .

المصادر و المراجع :

1- ابن الورد ، عروة ، **ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك** ، دراسة و شرح وتحقيق أسماء أبو بكر محمد ، (د ط) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1418هـ ـ 1998م .
2- ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن زكريا (ت: 395هـ) ، **معجم مقاييس اللغة** ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، (د.ط)، دار الفكر ، 1399هـ - 1979م.
3- ابن قميئة، عمرو ، **ديوان عمرو بن قميئة** ، تحقيق الدكتور خليل ابراهيم العطية ، ط2 ، دار صادر بيروت، 1994 .
4- ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين (ت711هـ) ، **لسان العرب** ، (د ط)، دار صادر ، بيروت ، لبنان .
5- ابن يعفر ، الأسود ، **ديوان الأسعر بن يعفر** ، نوري حمودي القيسي ، (د ط) ، وزراة الثقافة و الاعلام مديرية الثقافة العامة ، 1970م .
6- أبو سلمى ، زهير ، **ديوان زهير بن ابي سلمى** ، شرحه وقدم له الاستاذ علي حسن فاعور ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان 1408هـ ـ 1988 م .
7- الأسدي ، بشر بن أبي خازم ، **ديوان بشر بن ابي خازم الاسدي** ، تحقيق د. عزة حسن ، (د ط)، وزارة الثقافة والارشاد القومي في الاقليم السوري ، مطبوعات مديرية احياء التراث القديم ، دمشق ، 1379هـ - 1960م .
8- الأصفهاني ، أبو فرج علي بن الحسين (ت 256 هـ) ، **الأغاني** ، إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي ، (د ط)، بيروت لبنان .
9- الأعشى ، **ديوان الاعشى الكبير ميمون بن قيس** ، تحقيق محمد حسين ، (د ط) ، مكتبة الاداب للطباعة و النشر ، المطبعة النموذجية .
10- أمرؤ القيس ، **ديوان أمرئ القيس** ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط5 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1990.
11- الأوسي ، قيس صيفى بن الأسلت ، **ديوان أبي قيس صيفى بن الأسلت الأوسى الجاهلي** ، دراسة و جمع وتحقيق د. محمد باجودة ،(د ط) ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، 1391هـ .

12- تأبط شرا ، **ديوان تأبط شرا و اخباره** ، جمع وتحقيق وشرح علي ذوالفقار شاكر ، ط 1 ، دار الغرباء الاسلامي ، 1404هـ - 1984م .

13- الحطيئة ، **ديوان الحطيئة** ، رواية وشرح ابن السكيت 186-246هـ ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، 1413هـ ـ 1993م .

14- خليف ، يوسف ، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي** ، ط2، دار المعارف .

15- الدخيل ، حمد بن ناصر ، **أثر الصحراء في نشأة الشعر العربي وتطوره حتى نهاية العصر العباسي الثاني** ، مجلة جامعة أم القرى ، العدد 23 ، ص 22 ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، كلية اللغة العربية – الرياض ، 1427هـ .

16- الذبياني ، النابغة ، **ديوان النابغة الذبياني** ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط 2، دار المعارف ، القاهرة .

17- الشنفرى ، عمرو بن مالك (ت نحو 70هـ) ، **ديوان الشنفرى** ، جمعه وحققه وشرحة د. أميل بديع يعقوب ، ط 2 ، دار الكتب العربية ، بيروت ، 1417هـ - 1996 م .

18- الصائغ ، عبدالإله ، **الصورة الفنية معياراً نقدياً "منحنى تطبيقي على شعر الاعشى الكبير** ، (د ط) ،مؤسسة الثقافة الجامعية ، 2010 .

19- عبدالسلام ، حسن احمد عبد الحميد ، **الموت في الشعر الجاهلي** ، ط 1 ، مطبعة الحسن الاسلامية ، 1411 هـ - 1991م .

20- عبدالوهاب ،محمد صديق حسن ، **الصحراء في الشعر الجاهلي** ، اطروحة دكتوراه ، اشراف الدكتور عبد الرحمن عطا المنان ، جامعة أمدرمان الاسلامية / كلية الدراسات العربية ،2007 – 1429هـ .

21- القيسي ، نوري حمودي ، **الفروسية في الشعر الجاهلي** ، ط 1 ، منشورات مكتبة النهضة – بغداد ، 1382هـ - 1964 م .

22- لامية ، العرب ، **لامية العرب نشيد الصحراء : الشنفرى** ، شرح و تحقيق د محمد بديع شريف ، (د ط) ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1964م .

23- محمد ، جليل حسن ، **الخوف في الشعر العربي قبل الاسلام** ، ط 1 ، دار دجلة ، عمان ، الاردن ، 2007 .

24- المرزباني ، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (297 – 384 هـ) ، **معجم الشعراء** ، تحقيق د. فاروق أسليم ، ط 1 ، دار صادر بيروت ، 1425هـ 2005 م .

25- المرقش الأكبر ، المرقش الاصغر ،عمرو بن سعد(ت57 هـ) ، عمرو بن حرملة (ت50هـ) ،**ديوان المرقشين** ، ، تحقيق كارين صادر ، ط 1، دار صادر بيروت - لبنان ، 1980 .

26- المومني ، عمر عبد السليمان ، **الناقة و الصحراء في شعر الأعشى الكبير (ميمون بن قيس)** ، مجلة العلوم العربية العدد 24 رجب 1433هـ ، كلية عجلون الجامعية ، جامعة البلقاء التطبيقية ، الاردن .

27- الميداني، لابي الفضل احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم النيسابوري (ت518هـ)،**مجمع الامثال** ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط 2 ، ، مطبعة السعادة ، مصر ،1379هـ .

28- الهذلي ، أبو ذؤيب ، **ديوان أبي ذؤيب الهذلي** ، شرح وتحقيق انطونيوس بطرس ، ط 1 ، دار صادر بيروت ،لبنان ، 1424هـ - 2003 م .

واقیعی بیابان وە کاردانەوەکانی لە هۆنراوەی عەرەبی پێش ئیسلام

نعمت جرجیس ادریس
کۆلێژی پەروەردە - بەشی زمانی عەرەبی
زانکۆی سەلاحەددین – هەولێر
neamat.idrees@su.edu.krd

جلیل حسن محمد
کۆلێژی پەروەردە - بەشی زمانی عەرەبی
زانکۆی سەلاحەددین – هەولێر
jalil.muhamad@su.edu.krd

پوختە

ئەم توێژینەوە باس لە واقیعی بیابان و کاریگەری لەسەر مرۆڤەکانی سەردەمی نەفامی دەکات - بەتایبەتی شاعیرەکان- چونکە ئەوان لەهەمووان زیاتر هەستیارترن، قوڵتر بیردەکەنەوە و باشتر دەڕوانن ئەو شتانەی لە واقیعەکەیاندا دەگوزەرێت، هەربۆیە کاردانەوە و قسەی جیاوازیان هەبووە لەسەر ئەو واقیعە تاڵەی کە تێیدا دەژیان و نەیاندەتوانی لێی ڕابکەن، ئەم جیاوازییەیش بەگوێرەی دۆخ و تەبیعەتەکانبووە، هەیانبووە دلێرانە و بوێرانە و بە هێزی جەستەی بەرەنگاری بۆنەوە، هەیانبووە پشتی بەستووە بە حوشتری گەورە بۆ تێپەڕاندنی و ڕووبەڕووبوونەوەی سەختیەکانی، هەیانە بە کۆمەڵ گەشتیان کردووە بۆ ئەوەی خۆیان بپارێزن لە مەترسیەکانی چونکە لە کۆمەڵدا هێز و توانا هەیە، لەگەڵ ئەمەیشدا بیابان فراوان و کاکی بەکاکییە، هەربۆیە بۆ هەندێکیان پێویستبوو کەسێک ڕێنوێنیکار و چاوساغیان بێت کە شارەزابێت بە ڕێگاکانی، بۆ ئەوەی یارمەتیان بدات لە تێپەڕاندنی سەختیەکانی و نەهێڵێت تێیدا ون ببن ، یان ڕێگایەکی تری جیا لەمانەی باسکرا کە جورێک لە سەرسوڕمانی پێوە دیار بوو ئەویش بریتی بوو لە هاوئاوازبوون و تێکەڵاو بوون لەگەل بیابان و ئەوانەی تیایدا بوو تەنانەت ئاژەڵەکانیش ، هەروەک ڕووتەڵ و ناکەسەکانی بیابان .

ووشە کلیلەکان : واقیع ، سروشت ، بیابان ، کاردانەوەکان .

The reality of the desert and the response to him In Arabic poetry Before Islam

Neamat Jarjees Edrees **Jalil Hassan Muhamad**
Arabic department, College of education, Salahaddin University-Erbil
neamat.idrees@su.edu.krd jalil.muhamad@su.edu.krd

Abstract

This research talks about the reality of desert and its effects on the people in the age of ignorance. Especially the poets because they are the most sensitive, thoughtful and they focus on the events that are happening in their situation more carefully. Therefore, they had their reactions and different opinions about the bitter and hard situation that was destined and couldn't escape from it. And it was depended, some of them encountered the case with their courage, bravery and physical power, and some of them relied on big camels to overcome their difficulties, and some of them made a travel in the form of community in order to protect themselves because traveling in groups have a power and since deserts are enormous and no one cares or depends on others, so they needed someone to guide them and be their assistant to help them pass the obstructions and difficulties and not let them to be lost, or a different way from the ways that have been explained was amazement, that they had to be in harmony and compatible with the desert and what are living in it - especially the animals - as the tramps did.

Keywords: reality, nature, the desert, responses.